

23

الأسبوع

الأسبوع

بقلم : ١. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : ١. عبد الشافي سيد
إشراف : ١. حمدي مصطفى



ذُو النُّونِ .. أَوْ يُونَانَ .. أَوْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى .. هَذِهِ
كُلُّهَا أَسْمَاءُ نَبِيِّ وَاحِدٍ ، هُوَ نَبِيُّ اللَّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..
وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - نَبِيَّهُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَوْمِهِ ،
فَأَخَذَ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَيَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ..

وَضَلَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو قَوْمَهُ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ يَعْلَمُهَا
اللَّهُ ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ أَحَدٌ ..
وَشَعَرَ نَبِيُّ اللَّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْيَأْسِ مِنْ هِدَايَةِ قَوْمِهِ ،

وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالْغَضَبِ عَلَيْهِمْ ، لَعَدَمَ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ ..
كَيْفَ يَكُونُ نَبِيًّا ، وَلَا يُؤْمِنُ بِهِ أَحَدٌ ؟ !
هَلْ هُوَ نَبِيٌّ بِلَا أَتْبَاعٍ أَوْ مُؤْمِنِينَ ؟ !
وَرُبَّمَا رَاحَتِ الْأَسْئَلَةُ تَتَدَاخَعُ فِي رَأْسِهِ ، حَتَّى ضَاقَ
صَدْرُهُ بِعِنَادِ قَوْمِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ قَرَّرَ يُونُسُ ﷺ أَمْرًا خَطِيرًا .. قَرَّرَ أَنْ
يَهْجُرَ قَرْيَتَهُ ، وَيَسَافِرَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ ، تَارِكًا قَوْمَهُ
يَتَخَبَّطُونَ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ ..
وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى ..

وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ قَدْ صَدَرَ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - إِلَى
يُونُسَ ﷺ بِأَنْ يَتْرِكَ قَوْمَهُ ، وَيَرْحَلَ عَنْهُمْ ، يَأْسًا مِنْ هِدَايَتِهِمْ ..
ظَنَّ يُونُسُ ﷺ فِي ثَوْرَةٍ غَضَبَهُ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَنْ
يَقْدَرَ عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ ، لِأَنَّهُ تَرَكَ قَوْمَهُ وَرَحَلَ عَنْهُمْ يَأْسًا
مِنْ هِدَايَتِهِمْ ..

نَسِيَ يُونُسُ ﷺ فِي ثَوْرَةٍ غَضَبِهِ ، أَنَّ عَلَى النَّبِيِّ

أَنْ يُثَابِرَ ، وَيَصْبِرَ عَلَى دَعْوَةِ قَوْمِهِ .. أَمَّا أَنْ
يُؤْمِنُوا ، أَوْ لَا يُؤْمِنُوا ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِيَدِهِ هُوَ ، لِأَنَّ
اللَّهَ وَحْدَهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا
عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ..

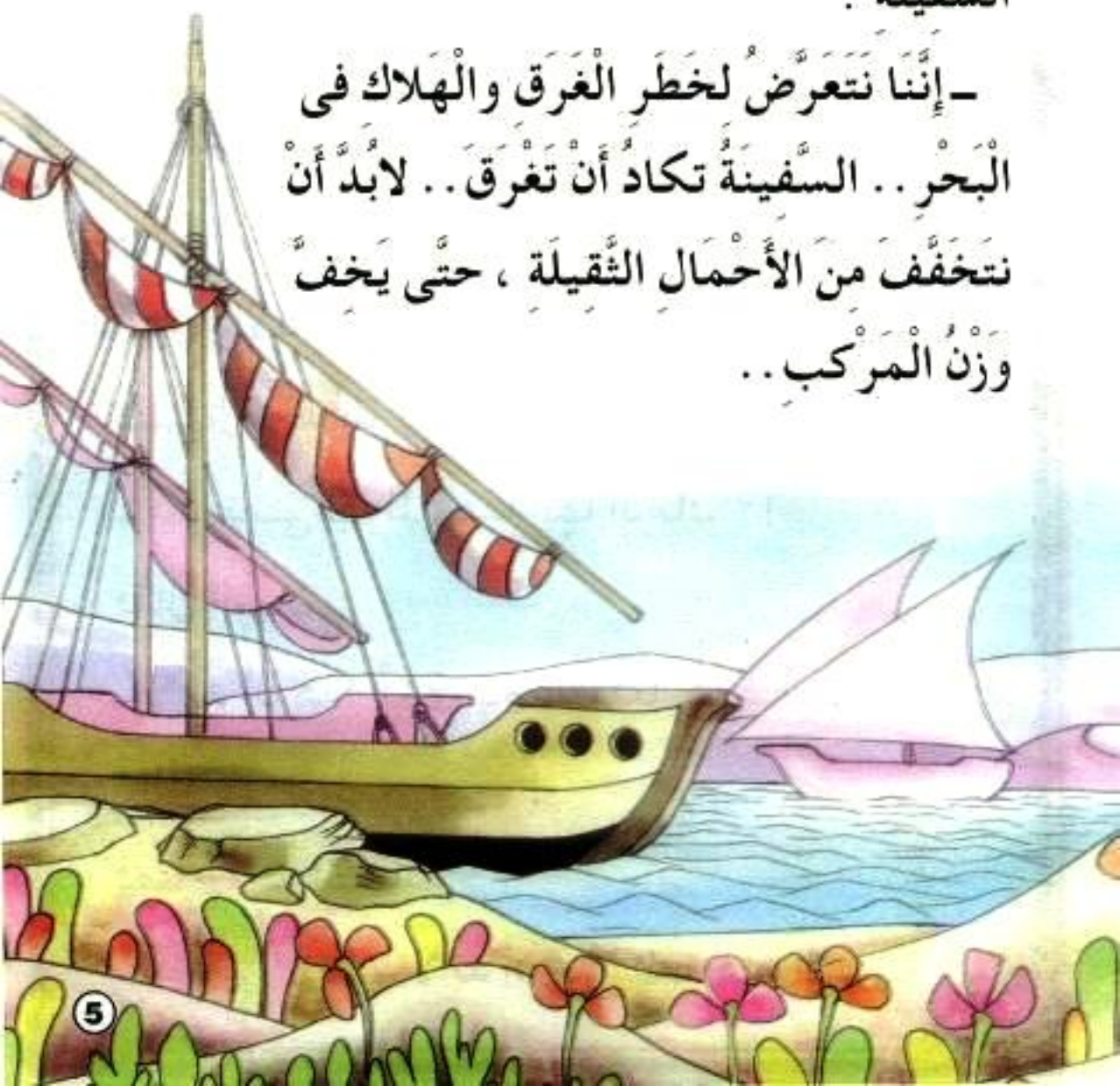
وهكذا رحل يونس عليه السلام تاركاً قومه ..

ذهب إلى شاطئ البحر ، ليركب سفينة ثقله بعيداً
عن بلده .. لم يكن يدري إلى أي جهة سيذهب ، وفي
أي بلد سيستقر .. كان كل هدفه أن يبتعد عن قومه ..
رأى سفينة ركاب مملوءة بالمسافرين ، فركب
فيها ، وسارت به السفينة في البحر ..

وبرغم ضيق يونس عليه السلام وغضبه ، فقد كان سعيداً
بالرحيل عن هذه القرية التي لم يؤمن به أهلها ..
ومضت فترة من الوقت ، والسفينة في عرض
البحر ، حيث كل شيء يسير على ما يرام ، فالبحر
هادئ والسما صافية ، ولا شيء يندر بالخطر ..

ولكن فجأةً تغيّر كلُّ شيءٍ .. هبتْ عاصفةٌ
صاخبةٌ .. ارتفعت الأمواجُ .. ثار البحرُ غاضباً ..
تمايلت السفينةُ بقوةً ، وكادت تنقلبُ وتغرقُ ..
وبدأت المياهُ تغمُرُ سطحَ السفينةِ ، فصاح ربّانُ
السفينةِ :

- إننا نتعرّضُ لخطر الغرقِ والهلاكِ في
البحرِ .. السفينةُ تكادُ أن تغرقَ .. لا بدَّ أن
نتخفّفَ من الأحمالِ الثّقيلةِ ، حتّى يخفَّ
وزنُ المَرَكَبِ ..



وتخفف الركاب من أحمالهم بإلقائها في البحر ،
ولكن المركب ظل يتمايل ، وهم لا يستطيعون
السيطرة عليه ..

فصاح الربان متعجبا :

- لقد خففنا حمل المركب إلى أقل ما يمكن
التخفف منه .. هذه ظاهرة غريبة لم تحدث من
قبل .. لم أر شيئا كهذا في رحلاتي الطويلة عبر
السنين والأيام ..

فتساءل أحد الركاب :

- ماذا تعنى بقولك هذا أيها الربان ؟ !

فقال الربان :

- لا بد أن هذا الذي يحدث لنا هو غضب وانتقام
من الله ..

فصاح أحد الركاب :

- نعم .. نعم .. لا بد أن على ظهر هذه السفينة

رَجُلًا خَاطِئًا .. رَجُلًا أَغْضَبَ اللَّهَ - تَعَالَى - وَلِذَلِكَ
فَنَحْنُ نَتَعَرَّضُ جَمِيعُنَا لِلْهَلَاكِ بِسَبَبِهِ ..

فَتَسْأَلُ أَحَدُ الرُّكَّابِ :

- وَكَيْفَ نَتَصَرَّفُ ، لِكَيْ نَنْجُو جَمِيعًا مِنَ الْخَطَرِ ؟ !
فَأَجَابَ الرَّبَّانُ :

- نَتَخَلَّصُ مِنْ هَذَا الْخَاطِئِ ، الَّذِي أَغْضَبَ اللَّهَ
تَعَالَى ..

فَتَسْأَلُ أَحَدُهُمْ :

- وَكَيْفَ نَعْرِفُ هَذَا الشَّخْصَ الْخَاطِئَ ، الَّذِي
نَتَعَرَّضُ لِلْهَلَاكِ بِسَبَبِهِ ؟ !
فَأَجَابَ الرَّبَّانُ :

- سَنَقُومُ بِعَمَلِيَّةِ اقْتِرَاعٍ ، وَمَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ ،
يَكُونُ هُوَ الشَّخْصُ الْمَطْلُوبُ التَّخَلُّصُ مِنْهُ ..
وَوَافِقَ جَمِيعِ الرُّكَّابِ عَلَى إِجْرَاءِ الْقُرْعَةِ ..

وَبَدَأَ الرَّبَّانُ يُجْرِي عَمَلِيَّةَ الْاِقْتِرَاعِ .. كَتَبَ أَسْمَاءَ

جميع الأشخاص الموجودين على ظهر المركب ،

ومن بينها اسم يونس عليه السلام ..

وتمت عملية سحب القرعة ، ف وقعت القرعة على

يونس عليه السلام ، وأعيدت القرعة للمرة الثانية والثالثة ،

وفي كل مرة يخرج اسم يونس عليه السلام ..

وهكذا عرف الجميع أن يونس عليه السلام هو الشخص

المطلوب أن يغادر المركب ..

ولكن كيف يغادر يونس عليه السلام المركب ، وهم في

عرض البحر ؟!

لم يكن هناك اختيار سوى أن يلقي يونس عليه السلام

بنفسه في البحر .. هنا فقط أدرك يونس أنه أخطأ في

حق قومه حين تركهم ، ورحل عنهم يأساً من

إصلاحهم وإيمانهم .

هنا فقط أدرك يونس عليه السلام أنه لم يكن على حق حين

ذهب غاضباً ، وظن أن الله - تعالى - لن يقدر عليه

عقوبة ، لأنه ترك قومه ورحل ..

أَيَّقِنَ يُونُسَ   أَنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُهُ، عَلَى
تَسْرُعِهِ بِالرَّحِيلِ عَنْ قَوْمِهِ ..
كَانَ الْوَقْتُ لَيْلًا .. وَكَانَتِ الدُّنْيَا
ظَلَامًا .. وَكَانَ الْجَوُّ قَاسِيًا، وَالْبُرُودُ
قَارِصَةً .. وَكَانَ عَلَى يُونُسَ   أَدَّ
يُنْفِذُ الْأَمْرَ، وَيَقْفِزُ فِي الْمِيَاهِ.



وَأَلْقَى يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَفْسِهِ فِي مِيَاهِ الْبَحْرِ تَارِكًا
أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَرَاحَ يَسْبَحُ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي فِي
أَيِّ اتِّجَاهٍ ، وَلَا إِلَى أَيِّ هَدَفٍ يَسْبَحُ ..
أَمَّا الْمَرْكَبُ ، فَقَدْ عَادَ إِلَى تَوَازُنِهِ ، مُوَاصِلًا رِحْلَتَهُ
فِي سَلَامٍ ..

لَكِنَّ مَا حَدَّثَ لِنَبِيِّ اللَّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَدْ
كَانَ مُفَاجَأَةً لَمْ يَتَوَقَّعْ حَدُوثَهَا أَوْ حَتَّى تَخْطُرَ لَهُ
عَلَى بَالٍ ..

فَجَأَةً وَجَدَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسَهُ أَمَامَ حُوتٍ عَظِيمٍ .. حُوتٍ
أَرْسَلَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - وَسَخَّرَهُ لِأَدَاءِ رِسَالَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، هِيَ
إِبْتِلَاءُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

فَتَحَ الْحُوتُ فَمَهُ الْوَاسِعَ ، وَقَبْلَ أَنْ يَتَنَبَّهَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لِشَيْءٍ ، كَانَ الْحُوتُ قَدْ ابْتَلَعَهُ ، وَأَطْبَقَ فَمَهُ عَلَيْهِ بِسُرْعَةٍ ..
وَوَاصِلَ الْحُوتِ إِلَى أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ الدَّاكِنَةِ ، حَيْثُ
الظُّلَامُ يَشْتَدُّ وَيَشْتَدُّ ..

وَلَمْ يَكُنِ الْحَوْتُ يَقْصِدُ بَنِي اللَّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَرًّا ،
فَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ - تَعَالَى - إِلَيْهِ أَلَّا يُؤْذِيَ يُونُسَ ..



وفى قاع البحر وجد يونس نفسه محاطاً
بظلمات ثلاث بعضها فوق بعض.. وهى ظلمة جوف
الحوّت ، وظلمة مياه الأعماق ، وظلمة الليل ..
وتذكر يونس عليه السلام فى سجنه داخل جوف الحوت ،
وداخل الظلمات الثلاث أنه قد ظلم نفسه وظلم قومه ،
حين تركهم ورحل يائساً من هدايتهم ..

وبدا يونس عليه السلام يسبح ربه ، ونادى يونس ربه قائلاً :

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

وظل يونس عليه السلام يسبح الله بهذا التسبيح فترة
يعلمها الله وحده.. قال بعضهم : إنه ظل يسبح الله
فى بطن الحوت ثلاثة أيام ، وقال بعضهم : بل سبعة
أيام ، والله وحده يعلم ذلك ..

المهم أن يونس عليه السلام فى أثناء تواجده فى بطن
الحوّت كان يسبح الله ، ويستغفره ، معترفاً بظلمه
لنفسه وطالباً من الله لطفه ورحمته به ..

وَاسْتَجَابَ اللَّهُ - تَعَالَى - دُعَاءَ نَبِيِّهِ
يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَوْحَى إِلَى الْحُوتِ أَنْ
يَصْعَدَ بِهِ إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ ، وَأَنْ يَقْذِفَ
يُونُسَ مِنْ جَوْفِهِ ، قَرِيبًا مِنْ شَاطِئِ
الْبَحْرِ .. فَلَبَّى الْحُوتُ أَمْرَ رَبِّهِ ، وَصَعَدَ
إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ ، مَقْتَرِبًا مِنَ الْبَرِّ ،
وَقَذَفَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

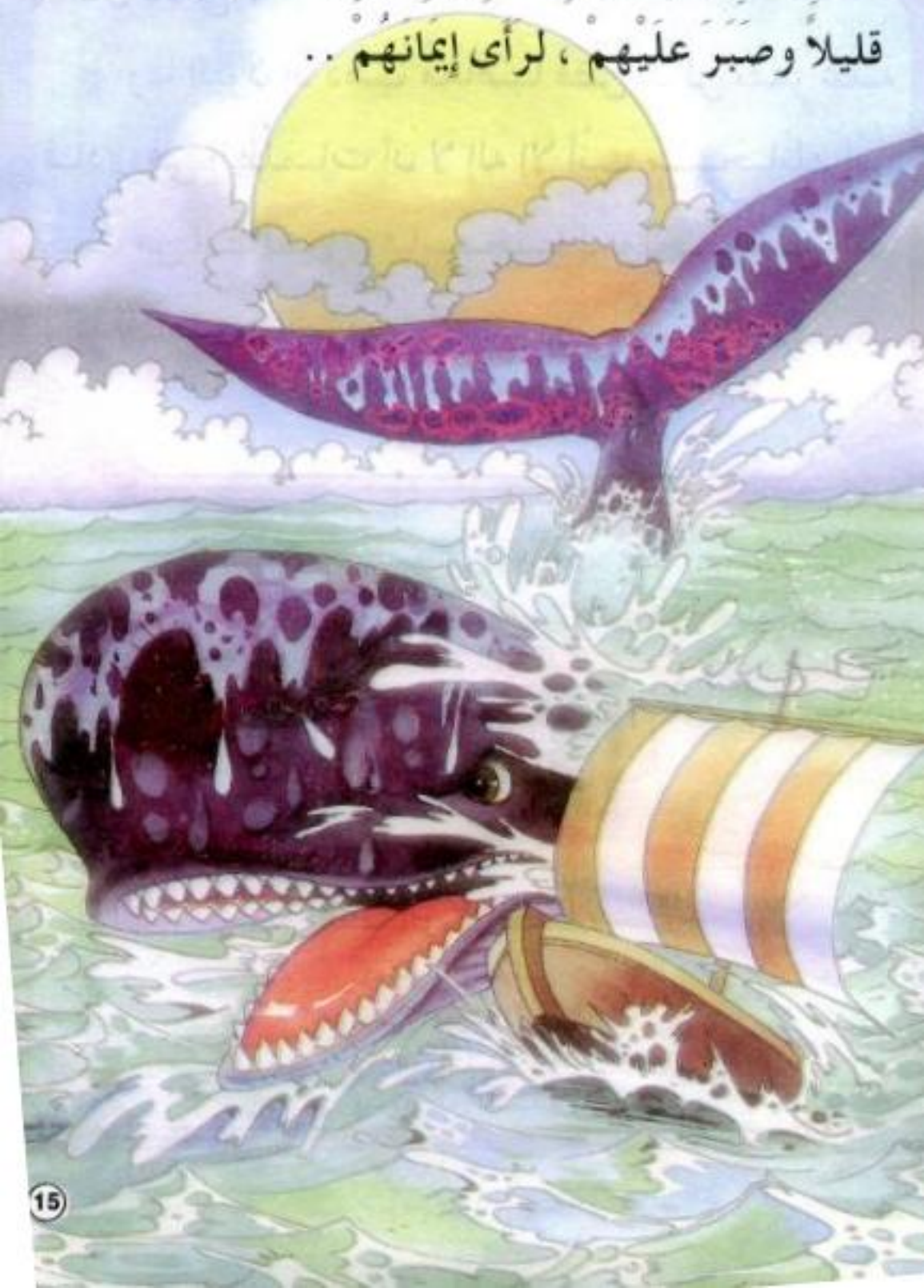
وَجَدَ يُونُسَ نَفْسَهُ عَلَى الْبَرِّ وَحِيدًا .. وَكَانَ يَشْعُرُ
بِالْجُوعِ وَالْبَرْدِ ..

وَكَانَ فِي جِسْمِهِ بَعْضُ الْجُرُوحِ وَالْقُرُوحِ مِنْ أَثَرِ
نَوْفِ الْحُوتِ ، وَكَانَتْ حَرَارَةُ الشَّمْسِ تُسَبِّبُ لَهُ أَلَمًا ،
فَأَنْبَتَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى يُونُسَ شَجَرَةً مِنْ « يَقْطِينٍ »
وَهُوَ نَبَاتٌ عَرِيضُ الْأَوْرَاقِ ، يُشَبِّهُ نَبَاتَ الْقَرْعِ .. فَكَانَ يُونُسُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْتَظِلُّ بِهَذَا النَّبَاتِ مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ وَبَرْدِ اللَّيْلِ ،
وَيَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهِ .. حَتَّى شَفَاهُ اللَّهُ - تَعَالَى - وَعَافَاهُ ..
ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - يُونُسَ إِلَى قَوْمِهِ ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ
يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ ، فَمَاذَا وَجَدَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَوْمِهِ ؟ !
لَقَدْ وَجَدَ شَيْئًا عَجَبًا .. الْقَوْمُ الَّذِينَ خَرَجَ مِنْهُمْ
غَاضِبًا لِعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ ، وَجَدَهُمْ مُؤْمِنِينَ ..

لَقَدْ آمَنَ قَوْمُ يُونُسَ بِهِ بَعْدَ رَحِيلِهِ عَنْهُمْ يَأْسًا مِنْهُمْ ،
وَحَزَنُوا لِرَحِيلِهِ ..

وَبِهَذَا لَقَّنَ اللَّهُ نَبِيَّهُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الدَّرْسَ ، حِينَ
أَوْحَى إِلَى الْحُوتِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فِي جَوْفِهِ ..

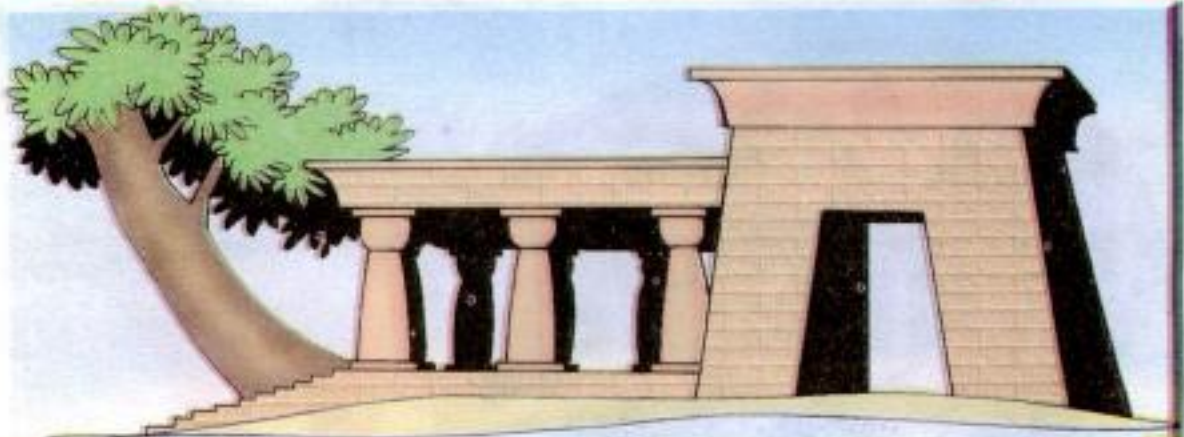
فَمَا كَانَ لِيُونُسَ أَنْ يَتَّسِرَّ ، وَأَنْ يَتْرَكَ قَوْمَهُ وَيُخْرَجَ
غَاضِبًا مِنْهُمْ ، وَيَأْتِسًا مِنْ هِدَايَتِهِمْ .. وَلَوْ أَنَّهُ انْتَظَرَ
قَلِيلًا وَصَبَرَ عَلَيْهِمْ ، لَرَأَى إِيْمَانَهُمْ ..



قال تعالى :

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ
وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(تَمَّتْ)



قصص الأنبياء

الكتاب التالي

موسى عليه السلام

(١) النبوة

احرص على اقتنائه